

روح المعاني

من الأرض إنشاء إجمالاً حسبما مر بحقيقه وقيل : إنشاؤهم من الأرض باعتبار أن المني الذي يتكونون منه من الأغذية التي منشؤها من الأرض وأيا ما كان فإذا طرف لأعلم وهو على بابه من التفضيل .

وقال مكي : هو بمعنى عالم غز تعلق علمه تعالى بأحوالهم في ذلك الوقت لا مشارك له تعالى فيه وتعقب بأنه قد يتعلق علم منأطلعه ﷻ تعالى من الملائكة عليه وقيل : إذ منصوب بمحذوف والتقدير اذكروا إذ أنشأكم وهو كما ترى وإذ أنتم أجنة ووقت كونكم أجنة في بطون أمهاتكم على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه سبحانه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لو لا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها وذكر فيبطون أمهاتكم مع أن الجنين ما كان في البطن للإشارة إلى الأطوار كما أشرنا إليه وقيل : لتأكيد شأن العلم لما أن بطن الأم في غاية الظلمة والفاء في قوله تعالى : فلا تزكوا أنفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذه باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه سبحانه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بزكاء العمل وزيادة الخير بل أشركوا وإﷻ تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه هو أعلم بمن اتقى المعاصي جميعاوهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها كذا في الإرشاد وقيل : اتقى الشرك وقيل : اتقى شيئا من المعاصي والآية نزلت على ما قيل : في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وهذا مذموم منهى عنها إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء أما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به ولا يعدفاعله منالمركين أنفسهم ولذا قيل : المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ولا فرق في التزكية بين أن تكون عبارة وأن تكون إشارة وعد منها التسمية بنحو برة أخرج أحمد ومسلم وأبو داود وابن مردويه وابن سعد عن زينب بنت أبي سلمة أنها سميت برة فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : لا تزكوا أنفسكم ﷻ أعلم بأهل البر منكم سموها زينب وكذا غير E إلى ذلك اسم برة بنت جحش وتغيير مثل ذلك مستحب وكذا ما يوقع فيه بعض الناس في شيء من الطيرة كبركة ويسار والنهي عن التسمية به للتنزيه وقوله صلى الله عليه وسلم : إن عشت إن ﷻ أنهى أمتي أن يسموا نافعا وأفلق وبركة محمول كما قالالنبوي على إرادة أنهى نهى تحريم والظاهر أن كراهة ما يشعر بالتزكية مخصوص بما إذا كان الإشعار قويا كما إذا كان الأسم قبل النقل ظاهر الدلالة على التزكية مستعملا فيها فلا كراهة في التسمية بما يشعر بالمدح إذا لم يكن

كذلك كسعيد وحسن وقد كان لعمرو رضي الله تعالى عنه ابنة يقال لها : عاصية فسامها رصص
جميلة كذا قيل والمقام بعد لا يخلو عن بحث فليراجع وقيل : معنى لا تزكوا أنفسكم لا يزكي
بعضكم بعضا والمراد النهي عن تزكية السمعة أو المدح للدنيا أو تزكية على سبيل القطع
وأما التزكية لإثبات الحقوق ونحوه فهي جائزة وذهب بعضهم إلى أن الآية نزلت في اليهود .
أخرج الواحدي وابن المنذر وغيرهما عن ثابت بن الحرث الأنصاري قال كانت اليهود إذا هلك
لهم صبي صغيرة قالوا : هو صديق فبلغ ذلك النبي صفاقا : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها
الله تعالى في بطن أمها إلا يعلم سعادتها أو شقاوتها فأنزل الله سبحانه عند ذلك هو أعلم بكم
الآية